اسم الدرس : سورة طه | الآيات من 83 إلى 98

تصنيف الدرس : خطبة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا..

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة فما ترك خيرا إلا ودلنا عليه وماترك شرا الا وحذرنا منه، فصلاةَ وسلامًا دائمَيْن من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد –صلى الله عليه وسلم– .

"يأيها الذين آمنوا اتقو الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون" [آل عمران: 102]

أما بعد أحبتى فى الله ..

فمن رحمة الله عز وجل بالخلق أنه لم يتركهم سُدى، ولكنه سبحانه وتعالى أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب لكى يكونوا على بينة من أمرهم؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

قال نبينا –صلى الله عليه وسلم–: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله"[1]

فمن تمسك بكتاب الله عز وجل أنجاه الله عز وجل من الظلمات إلى النور، ونجَّاه من الفتن، وأخرجه من الظلمات ليسير فى طريقه إلى الله فى نور، على بينة منه سبحانه وتعالى.

معنا اليوم آيات من كتاب الله –عز وجل– ؛ نتدارسها لنتأمل ما فيها من العظات والعبر .

يقول الله– عز وجل– فى سورة طه : بعد أن مَّن على موسى ومن معه بالنجاة، النجاة التى طالما انتظرها بنو إسرائيل، طالما انتظرو اللحظة التى ينجيهم الله عز وجل فيها من هذا الطاغية– من فرعون–؛ وبالفعل قدرة الله عز وجل مطلقة، بالفعل نجاهم الله –عز وجل– من فرعون ..

ولكن ماذا حدث بعد النجاة ؟

بعد النجاة كان الله –عز وجل–قد وعد موسى –عليه السلام–أنه سيكلمه، وأنه سينزل إليه التوراة، فتعجل موسى –عليه السلام– هذا اللقاء؛ هذا اللقاء الجميل؛ كليم الله –عز وجل– موسى– عليه السلام– اشتاق إلى سماع كلام الله فتعجل هذا اللقاء، فقال الله –عز وجل– له:

"وما أعجلك عن قومك يا موسى" [طه: 83]

- وقد تركتُ فيكم ما إنْ تَمَسَّكتم به لم تَضلُّوا كتابَ اللهِ وعِتْرَتِي أهلَ بيتِي لن يَتَفَرَّقا حتى يَرِدا على الحوضِ شرح رواية أخرى •صحيح •ابن العربي (٥٤٣ هـ)، عارضة الأحوذي ١٥٩/٧

كان موسى –عليه السلام– يسير ببنى إسرائيل بعد أن أنجاهم الله –عز وجل– من فرعون، يسير بهم باتجاه أرض الشام..

وعده الله عز وجل أن يكلمه مرة أخرى، كما كلمه فى أول البعثة، فتعجل موسى هذا اللقاء، وترك قومه وترك أخاه هارون معهم

"وَقالَ موسى لِأَخيهِ هارونَ اخلُفني في قَومي وَأَصلِح وَلا تَتَّبِع سَبيلَ المفسِدينَ"[الأعراف: 142]

كُنْ مكاني..

افعل كما أفعل وأصلحْ..

إذا وجدتَ فاسدًا أو مفسدًا فعاقبه وأصلح..

وإذا لم تستطع أن تعاقب المفسدين فإياك أن تكون فى صفهم..!

"وَأَصلِح وَلا تَتَّبِع سَبيلَ المفسِدينَ" كما فى سورة الأعراف..

كانت هذه وصية موسى عليه السلام لأخيه هارون بعد أن تركه مع قومه.

ثم تعجل موسى للقاء ربه، فقال له ربه –عز وجل– "وما أعجلك" ؟!

يسأله ربه سبحانه وتعالى –وهو أعلم بما فى قلب عبده–

الله –عز وجل– أعلم بالشوق الذى فى قلب موسى –عليه السلام–

"وما أعجلك عن قومك ياموسى* قال هم أولاء على أثرى" [طه: 83، 84]

يسيرون على نهجى، يسيرون على طريقتى، وتركت فيهم من يُقوِمَهم ؛ هارون أخى –عليه السلام؛

" قال هم أولاء على أثرى" [طه: 83]

أما أنا: "وعجلت إليك ربى لترضى" [طه: 84]

قال كثير من المفسرين: أي جاء بى **الشوق** إليك يا رب

ولكن موسى عليه السلام تواضعًا وحياءً من ربه لم يذكر كلمة الشوق..

لم يذكر الكلمة التى يشعر بها فى قلبه، ولكن ذكر ما فعلته أعضاؤه..

قال: "وعجلت إليك ربى لترضى" [طه: 84]

لم يذكر الشوق الذى وجده فى قلبه، هذا الشوق الذى يجده دائما وأبدًا المحبون تجاه لقاء ربهم، يتمنون أن يأتى هذا اليوم.. اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك.

كانت أمنا عائشة –رضى الله عنها–عندما تذهب للنوم تقول: ائتونى بالمجيد، أى بالقرآن، وتحتضنه وتنام .

وكان النبى –صلى الله عليه وسلم –إذا نزل المطر حسر عن رأسه وأمسك بالمطر وقال:

"حديث عهد بربى"[2]

إنه الشوق إلى الله عز وجل..

إنه الشوق إلى لقاء الله عز وجل!

فقال: "وعجلت إليك ربى لترضى" [طه: 84]

لترضى عنى..

بعد كل هذا البذل الذى بذله موسى من مواجهة الطغيان، من مواجهة فرعون، من الثبات أمام السحرة، من الدعوة إليه، من الصبر على بنى إسرائيل، ..

بعد كل هذا لازال يبحث » عن الرضا..!

هكذا المؤمن..

دائمًا وأبدًا لا يقنع بطاعة واحدة، ولا يقنع بمقام إيمانى بل يريد المزيد.

كما جاء عن إبراهيم –عليه السلام– قوله تعالى:

" قال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى" [البقرة: 260]

هناك درجة من اليقين أرغب أن أصل إليها

قال: بلى آمنت بالفعل وطبقت شرع الله، "ولكن ليطمئن قلبي"

هكذا المؤمن..

فى درجاتٍ يرقى في علاقته بالله سبحانه وتعالى، ويزداد فى كل يوم طاعة وعمل وإيمان واعتقاد، إيمانه يزداد دائمًا وأبدًا.

- [2] [عن أنس بن مالك:] أَصابَنا وَنَحْنُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ، قالَ: فَحَسَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ، حتّى أَصابَهُ مِنَ المَطَرِ، فَقُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هذا؟ قالَ: لأنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعالى. - مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٨٩٨ •[صحيح] •شرح الحديث

هكذا المؤمنون..

إذا تُلِيت عليهم آيات الله زادتهم إيمانًا، فإذا ما أنزلت سورة يقول المؤمنون:

" أيكم زادته هذه ايمانًا" [التوبة: 124]

من استفاد من هذه السورة؟ من الذي زادته إيمانًا؟

" فأما الذين آمنو فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون" [التوبة: 124]

دائمًا وأبداً المؤمنون يترقون فى إيمانهم إلى الله سبحانه وتعالى.

" قال هم أولاء على أثري * وعجلت إليك ربى لترضى" [طه: 83، 84]

ولكن الله –عز وجل– قد أمر موسى –عليه السلام– أن يُصلح بني إسرائيل..

هؤلاء القوم الذين دائمًا وأبدًا تعودوا على الاعوجاج، تعودوا على المراوغة، لا يستطيعون أن يتمسكوا بشرع ولا بكتاب، تعودوا على هذه الأفعال.

فلما تركهم موسى–عليه السلام –رجعوا لعادتهم، رجعوا لعبادة البقر.

فقال له الله –عز وجل–: "فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى" [طه: 85]

انظر إلى كلمة (من بعدك)..

هناك طائفة من الناس لا تَصلح إلا بوجود رجل يقوم عليهم يصلحهم إذا اعوجوا، لابد من وجود أحد يُصلحهم، ولا يستطيع الواحد منهم أن يقوم بمفرده..

ليس عنده ذاتية، لايبحث عن العمل الصالح بمفرده، فإذا ما توقفت الرقابة عنه يفسد يتجه للفساد..

هكذا كان بنو إسرائيل؛ يحتاجون إلى رقابة صارمة، إذا غابت عنهم –ولو للحظات– فسدوا وأفسدوا، وابتدعو فى دين الله –عز وجل.

فلما ابتعد عنهم موسى –عليه السلام–فى مهمة إيمانية حين ذهب للقاء ربه؛ ليتلقى كلام الله عز وجل؛ ضلوا من بعده.

"فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى" [طه: 85].

" فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا" [طه: 86]

الله أكبر..!

لطالما تعب موسى –عليه السلام– معهم، وصبر على أذاهم

وكانو كثيرًا مايشكون، كانوا كثيري الشكوى لموسى.

"قالو أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون" [الأعراف: 129]

ولما تضجروا قال لهم موسى عليه السلام:

"إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" [الأعراف: 128]

كانوا كثيري الضجر، كثيري الملل، وكان موسى –عليه السلام– يصبر عليهم، ويعلمهم ويربيهم.

لذلك لما كان نبينا –صلى الله عليه وسلم– يُؤذى بأي أذى كان يتذكر موسى –عليه السلام– ويقول:

" لقد أُوذى أخى موسى عليه السلام بأكثر من هذا فصبر".[3]

موسى –عليه السلام– بعد كل هذا البذل مع بنى إسرائيل، والصبر على أفعالهم، والحلم على أخطائهم

ارتدوا على أعقابهم بعد أن تركهم..

" فَرَجَعَ موسى إِلى قَومِهِ غَضبانَ أَسِفًا قالَ يا قَومِ أَلَم يَعِدكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا أَفَطالَ عَلَيكُمُ العَهدُ أَم أَرَدتُم أَن يَحِلَّ عَلَيكُم غَضَبٌ مِن رَبِّكُم فَأَخلَفتُم مَوعِدي" [طه: 86]

ماالذى دفعكم لعبادة العجل؟!

ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنا؟!

ألم يعدكم ربكم أنه سوف ينجيكم من فرعون ونجاكم؟!

ألم يعدكم ربكم أنه سوف ينزل عليكم المن والسلوى وأنزل؟!

ألم يعدكم ربكم الوعود الحسنة وأنجزها لكم؟!

---

[3] [عن عبدالله بن مسعود:] رحم الله أخي موسىلقد أوذي بأكثر من [هذا فصبر]

محمد جار الله الصعدي (١١٨١ هـ)، النوافح العطرة ١٥٤ •صحيح •أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) مطولاً باختلاف يسير.

•شرح رواية أخرى

"فما ظنكم برب العالمين" [الصافات : 87]

لماذا تبحثون عن إله غيره؟!

لماذا تلجأون إلى غيره؟!

لماذا تبتعدون عن شرعه؟!

هل وجدتم في شرعه إلا كل رحمة وفضل وعدل؟!

لماذا تبتعدون عنه؟!

"ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا"؟

ماذا وجدتم عند العجل –الذي له خوار– جعلكم تتجهون إليه وتتركون دين الله عزوجل ؟!

ما الذي وجدتم في الأنظمة الوضعية؛ جعلكم تتركون شرع الله وتتجهون إليها؟!

"ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا"؟

"أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم"..!

وفي نفس السورة قال تعالى :

"ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى" [طه: 81]

الذي يبتعد عن شرع الله ويبدل في دين الله كما بدّل هؤلاء، يحل عليه غضب من الله عز وجل

ومن يحلل عليه غضب من الله، فقد انتهى..!

" ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى"

فقد سقط وتردى

نعوذ بالله من غضب الله..

ومن سقط في جهنم لن ينفعه المال.. لن ينفعه الولد.. لن ينفعه المنصب..

إذا سقط في جهنم، وإذا نزل عليه غضب الله..!

"وما يغني عنه ماله اذا تردى" [الليل: 11]

"قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا" [طه: 87]

كان بنو اسرائيل كثيرا ما يعتذرون، عندهم عذر لكل شيء، يفعل المنكر، يشرك ويرتكب الكبيرة..ثم يعتذر بأعذار!

"قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارًا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري* فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي* أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولًا ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا" [طه: 87، 88، 89]

قالوا لموسى عليه السلام "قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا" [طه: 87]

"بملكنا" قرئت بمَلكنا وبمِلكنا وبمُلكنا..

يقولون معتذرين مبررين : ليس بإرادتنا واختيارنا، ولكن غلبتنا أنفسنا..!

ما الذي دفعكم إلى فعل ذلك؟!

هل عذبكم أحد؟

هل أجبركم أحد على أن تعبدوا العجل ؟

قد عُذبتم سابقًا من فرعون وصبرتم، ومنّ الله عليكم بالنجاة.. فما الذي حدث الآن؟

وما الذي أوقعكم في الفتنة؟!

"قالوا ما أخلفنا موعدك بملكناولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم"[طه: 87]

قيل إن بني إسرائيل لما أرادوا الهروب ليلًا بعد أن أوحى الله إلى موسى:

"أن أسر بعبادي ليلًا إنكم متبعون" [الشعراء: 52]

كانوا قد اقترضوا من القبط المصريين –الذين هم قوم فرعون– زينة وذهبًا.. فلما هربوا ليلًا كان معهم هذا الذهب لم يعيدوه.. كان معهم كنوع من أنواع الغنيمة التي غنموها –ولم تكن تحل لهم–، فأمرهم هارون عليه السلام أن يجمعوا ما عندهم في حفرة؛ وكان النبي من الأنبياء عندما يغنم يجمع الغنيمة في مكان واحد، وتنزل عليه نار فتحرقه..

وذلك قبل نبينا –صلى الله عليه وسلم، وهذا مما فُضل به النبي صلى الله عليه وسلم على غيره، أنه أحلت له الغنائم ولا تزال، ولم تحل لنبي من الأنبياء من قبله.

فجمعوا الذهب في مكان واحد..

وكان السامري وقتها –كما يقول كثير من المفسرين– وانتبه معي إلى هذه القصة العجيبة..!

هذه القصة العجيبة التي تدلنا أن الله تعالى إذا أراد بقوم فتنةٍ فسيُفتَنوا، وأنه لا منجى إلا لمن أنجاه الله، ولن يُعصم من الفتنة إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى، فلابد أن نلجأ ونتضرع إليه أن ينجينا من الفتن..

قيل أن السامري عندما كان جبريل عليه السلام يأتي إلى موسى على فرس، رآه السامري وعرفه، وأُلقي في روعه أنه لو أخذ قبضة تراب من تحت فرس جبريل، إذا ألقاها على شيء فإنه سيصبح حيًا.

من الذي أعلمه ذلك ومن الذي أعطاه هذه القدرة؟

إنه الله عز وجل..

لماذا؟

*لماذا يعطي الله هذه القدرة التي قد تفتن الناس؟

إنها فتنة وابتلاء للناس..!

*كما خلق الله –عز وجل– الشيطان وأعطاه القدرة أن يجري من ابن آدم مجرى الدم، ويوسوس له..

لماذا خلقه الله وأعطاه هذه القدرة؟!

إنه ابتلاء..!

هل ستثبت على طاعة الله أم تطيع الشيطان؟!

*كما خلق الله الدجال الذي يأتي في آخر الزمان؛

فيقولُ للسماء أمطري فتمطر، ويقول للأرض أخرجي زرعك فتخرج!

من أعطى الدجال هذه القدرة؟

إنه الله عز وجل..

لماذا؟

إنها ابتلاء وفتنة..

*كذلك السامري، أخذ قبضة من تحت فرس جبريل –عليه السلام– ثم جاء إلى الذهب الذي جمعه القوم، فألقى عليه هذه القبضة، وقال:كوني عجلًا له خوار..

وبالفعل أصبح هذا الذهب عجلًا يخرج صوتًا، وقيل : خار خورة واحدة، ولم يخُر بعدها، ولم يخرج أصواتًا بعدها.

تخيل هذا المشهد..

عندما يروا عجل يتكون أمامهم ذهب!!

بدلًا أن يقولوا سبحان الخالق، "فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي" [طه : 88]

العجيب !

انظر معي إلى كلمات القرآن:

" فقالوا "

أي قالوا جميعًا وليس السامري وحده

" هذا إلهكم وإله موسى فنسي"

أي أن القوم كان فيهم أصلًا فساد.

الإشكالية أن السامري كان مع بني إسرائيل لما نجاهم الله من فرعون

"وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم" [الأعراف: 138]

كانوا يعكفون على أصنام في هيئة العجول.

"قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة" [الأعراف: 138]

فتيقن السامري أن السفهاء في هؤلاء القوم كُثُر، وأنه يسهل أن يُغرر بهم، وأن يُضحك عليهم..

ففيهم سذج وفاسقون، وفيهم من يحب عبادة العجل، وفيهم من لم يتطهر من الوثنية بعد.

استغل السامري هذه الحقيقة؛ أن أغلب بني إسرائيل كانوا يحبون عبادة العجل.

وكان السامري من قوم يعبدون العجل، فلما بُعث موسى عليه السلام أسلم معه، ولكن ظلت عبادة العجل في قلبه!

خطورة أن يظل في قلبك مرض لا تتطهر منه..

معصية لا تتركها..

معصية لا تزال تحبها ..

إنسان يلتزم ولكن ما زال هناك معصية يحبها..

هذه المعصية الخفية قد تنفجر وتظهر عليك في وقت من الأوقات..

عدم توافر ظروف المعصية مع وجود حبها في قلبك؛ لا يعني ذلك أنك تركتها، فقد تتهيأ الظروف مرة أخرى فتقع في المعصية..!

مثلًا، كأن يحب امرأةً في الحرام ثم يتركها ويبتعد عنها، ولكن ما زال حبها في قلبه، فلابد أن يجاهد نفسه ليخرج حبها من قلبه، وإلا فقد تتهيأ الظروف مرة أخرى فيعود إلى المعصية.

فلابد أن يجاهد الإنسان نفسه أن يترك المعصية وأن يبغضها:

" اللهم ((حبب)) إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، ((وكره)) إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين " [4]

لا بد أن تجاهد نفسك لتكره الكفر والفسوق والعصيان..

السامري كان يحب عبادة العجل حتى بعد أن أسلم مع موسى –عليه السلام –، وظل هذا الحب في قلبه إلى أن تهيأت الظروف، وأخذ القبضة التي فيها الحياة، وألقاها على الذهب

"فأخرج لهم عجلًا جسدًا لهُ خوار" [طه: 88]

كثيرٌ من بني إسرائيل فتنوا فقالوا: "هذا إلهكم وإله موسى فنسي" [طه: 88]

يُخَطِئون نبي الله موسى، يقولون: أن موسى الكليم نسي إلهه ها هُنا وذهب يبحث عنه هناك..!

موسى– عليه السلام – الذي علمهم، ورباهم، وفهمهم، وصبر عليهم، وحَلُمَ عليهم،

يقولون: أخطأ موسى! وذهب يبحث عن إلهه، وإلهه ها هنا!

"فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإلهُ موسى فنسي* أفلا يرَوْن ألا يرجع إليهم قولًا" [طه: 89]

بماذا نفعهم هذا العجل وهو لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا؟!

عجيب هؤلاء القوم..!

---

[4] قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي ، عن ابن رفاعة الزرقي ، عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " استووا حتى أثني على ربي عز وجل " فصاروا خلفه صفوفا ، فقال: (الدعاء..) - ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، به .

يتركون الله الذي أنزل إليهم التوراة، و أنجاهم من فرعون، وأنزل عليهم المن والسلوى، وحفظهم، وأجاب دعاءهم، وأهلك عدوهم، ثم يتجهون إلى العجل ليعبدوه !

ماذا قدم لكم العجل؟!

هل تكلم إليكم بكلام؟!

هل أنزل لكم وحيًا؟!

هل أنقذكم من عدوكم؟!

هل أخرجكم من الظلمات إلى النور؟!

إنه لا يملك لكم ضرا ولا نفعا

هكذا العقول الفاسقة يسهُل الضحك عليها، ويسهُل التغرير بها؛ وهكذا فعل السامري.

انظر إلى هذه المنظومة التي إذا تحققت في شعب لفسد:

أولًا: غياب القائد القوي الحازم (موسى –عليه السلام–)

ثانيًا: وجود منافقين (كالسامري) ينتهزون هذه الفرصة

ثالثًا: الشعب يكون أغلبه جاهل بالشرع، جاهل بالدين، يحب المعاصي

رابعًا: أهل الدين الذين يوجدون في هذه الفترة يكونون ضعفاء

قال هارون عليه السلام: "إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني"[الأعراف : 150]

لم يكن لهارون الهيبة والمنعة التي كانت لموسى، كان بنو إسرائيل يخافون من موسى ولا يخافون من هارون.. كان رقيقا، كان طيبا–عليه السلام–..

هذه المنظومة قد يقدرها الله عز وجل؛

أهل الدين ليس عندهم قوة، ليس في أيديهم قوة و منعة، مستضعفين في زمان معين

ويسود الجهل،

ويوجد منافقين،

وتغيب القيادة الحازمة.

هذه ((**المنظومة الرباعية**)) إذا اجتمعت:

ساد الفساد، وضل أكثر الناس، ولا يثبت إلا القلة..

الذين ثبتهم الله عز وجل، الذين يتبعون الحق، ويسيرون على بصيرة من الله، ويتبعون كلام الله

ولا يغترون بالخُوار، لا يغترون بأصوات تخرج من عجل، لا يغترون بمال، لا يغترون بمنصب، لا يغترون

بدنيا، إنما يتبعون كلام الله.

"أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولًا ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا * ولقد قال لهم هارون من قبلُ .."

[طه : 89، 90]

ليس معنى إن أهل الدين مستضعفين أن يصمتوا..!

إذا لم يستطع أهل الدين الإنكار باليد، استطاعوا أن ينكروا باللسان

"ولقد قال" أي إن هارون عليه السلام لم يصمت بالرغم أنه مستضعف،

وبالرغم أنهم كادوا يقتلوه فقد **أنكر!**

"ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فُتِنتُم به" [طه : 90]

أي بالعجل وبالسامري

"وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين" [طه : 90، 91]

بالرغم أن النصيحة لم تؤثر فيهم؛ إلا أن هارون لم يتركها..

بالرغم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يوثر فيهم؛ إلا أن هارون لم يتركه.

كذلك على العاملين لدين الله عز وجل، إذا انتشر الفساد في بلد، وفي قوم، وهم موجودون،

أن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر، حتى لو أعرض عنهم كثير من الناس

"قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون" [الأعراف : 164]

أنت تعذر نفسك أمام الله عز وجل

لابد أن تتكلم بالحق، وأن تبين الباطل، وأن تأمر بالمعروف وتوضحه.

"ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري* قالوا لن نبرح عليه عاكفين" [طه: 90، 91]

انظر إلى جهد أهل الباطل في باطلهم ، قالوا: "لن نبرح عليه عاكفين"

(العكوف أن تلازم الشئ حتى ينثني ظهرك ، الشئ المعكوف أو المعقوف الشئ المثني)

"قالوا لن نبرح عليه عاكفين"

انظر إلى جهد أهل الباطل في باطلهم،

وانظر إلى جهد أهل الحق مع الحق..

انظر إلى جهد أهل الحق مع القرآن،

انظر إلى الأوقات التي يبذلونها مع القرآن،

تجد قلة قليلة تبذل هذا الوقت مع القرآن لقراءته، وتدبره، وفهمه، والعمل به.

وانظر إلى جهد أهل الباطل:

قالوا: "لن نبرح عليه (على العجل!) عاكفين حتى يرجع إلينا موسي" [طه: 91]

هكذا ربطوا دينهم **بالأشخاص**، ولم يربطوا دينهم بالوحي،

هذه هي الخطورة..! **أن يتعلق دينك بوجود شخص**؛

إذا وُجِد هذا الشخص تلتزم، وإذا غاب هذا الشخص تنتكس، هذه هي المصيبة.!

هذا الاختبار الذي اختبر الله عز وجل به الصحابة في حياة نبينا – صلى الله عليه وسلم – قبل أن يموت حتى يتدربوا على هذا الاختبار..

في غزوة أحد لما أشيع مقتل النبي – صلى الله عليه وسلم – وترك بعض الصحابة سلاحهم ولم يجاهدوا، ومر عليهم أنس بن النضر، وتعجب من قعودهم! "لماذا تجلسون؟! لماذا تقعدون؟!"

قالوا: "مات رسول الله صلى الله عليه وسلم"

وما علاقة القعود بموت نبيكم؟!

قال: "فقوموا فموتوا على ما مات عليه"

كيف مات نبيكم؟ مات مقاتلًا..

إذًا قوموا فموتوا مقاتلين!

وأنزل الله:

"وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم .." [آل عمران: 144]

أفإن غاب عنكم موسى انقلبتم؟!

أفإن غاب عنكم عالم، أو داعٍ، أو مربٍ، أو شيخ، انقلبتم على أعقابكم؟!

"أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرالله شيئا وسيجزي الله الشاكرين" [آل عمران: 144]

الشاكرين لنعمه، الذين يعرفون **نعمة الوحي**، وأنهم **مرتبطون بالوحي لا بالشخص!**

عصم الله عز وجل الوحي من التبديل، ولم يعصم النبي –صلى الله عليه وسلم– من الموت، فقال: "إنك ميت وإنهم ميتون" [الزمر: 30]

أما هؤلاء القوم الذين فتنوا فقالوا: "لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى" [طه: 91]

سنظل علي هذا الشرك حتى يرجع إلينا موسى..

عاد موسى – عليه السلام – ورجع إلى قومه بعد هذه الفتنة التي وقعوا فيها، ماذا قال لهم؟

هذا ما سنعرفه بعد جلسة الاستراحة..

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

***

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد صلى الله عليه وسلم

عاد موسى إلى قومه..

"فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا" [طه: 86]

وهذا ما يجب على الدعاة أن يفعلوه، أن يعودوا الى قومهم مرة أخرى، أن يعودوا إلى دعوتهم، إلى وعظهم، إلى إخراجهم من الظلمات إلى النور.

"فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا" [طه: 86]

فلما عاد أول ما بدأ بالعتاب، بدأ بهارون!

وهكذا تخيل لو بُعث النبي –صلى الله عليه وسلم–، ووجد هذه الفتن المنتشرة، وهذا البعد عن الدين

المنتشر بين الناس، أول ما يبدأ العتاب يبدأ بالدعاة، يسأل الدعاة: هل قمتم بما عليكم من واجب؟ لو قاموا بما عليهم من واجب، ولم يقصروا، لن يعاتبهم الله عز وجل، فالنبي يأتي وليس معه أحد ، والنبي يأتي ومعه الرجل ومعه الرجلان.

فأول ما بدأ موسى بالعتاب بدأ بهارون، هو يعلم أن أغلب بني إسرائيل هذه هي أخلاقهم، طالما تمردوا عليه وأعرضوا عنه، ويعلم أن في الصف منافقين، فبدأ بعتاب هارون:

"قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري" [طه: 92، 93]

كان أمام هارون – عليه السلام– **ثلاث اختيارات** :

= الأول: إما أن يجمع الناس المؤمنة بدعوة التوحيد، ويقاتل الكثرة الذين يعبدون العجل.

= الثاني: أن يجمع القلة المؤمنة؛ لأنه ليس له قدرة على القتال ويعتزل الكثرة عُباد العجل ويتجه إلى موسى.

= الثالث: أن يظل معهم، وينكر عليهم باللسان، وينتظر حتى يعود موسى.

اختار هارون –لأنه رقيق القلب، يخاف على قومه، ولا يحب الفرقة بين الناس– اختار الاختيار الثالث.. وأراد موسى عليه السلام أحد الاختيارين الأولين؛ إما أن يقاتلهم وإما أن يتبعه.

في هذه الفتن وفي هذه الظروف قد تختلف اجتهادات أهل الحق، وهذا علم عظيم في الشرع قد يُستغل استغلالًا سيئًا.. إنه **علم المصالح والمفاسد الشرعية**.

في هذه الظروف؛ طالما هناك فتن، وفساد منتشر، واستضعاف لأهل الحق، ووجود منافقين في الصف، وغالبية طغى عليهم الجهل، في ظل هذه الظروف: تكثر الاجتهادات والاختلافات.

ولكن، ليس هناك من الاختيارات أن يجالس السامري، وأن يضحك معه، وأن يثني عليه، وأن يقدره، وأن يتقرب منه.. هذه ليست في الاختيارات المتاحة المباحة!

لذلك قال موسى قبل أن يذهب قال لهارون:

أصلح.. ولو لم تستطع الإصلاح فلا تتبع ولا تجاري المفسدين، فكثرتهم لا تعني أنهم على الحق

"لاتتبع سبيل المفسدين" [الأعراف: 142]

اتباعهم ومجاراتهم ليس من الاختيارات المقبولة.

إذًا؛ قد يختلف أهل الحق أحيانًا؛ لذلك لما قال موسى- عليه السلام- :

"ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري" [طه: 92، 93]

رد هارون: " قال يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي " [طه: 94]

فهو يخاف **تهمة التفرقة**..

هكذا يكون الدعاة دائما يحرصون على تجميع الناس..

تهمة عظيمة أن تتسبب في فرقه عظيمة بين الناس، وتقسمهم الى معسكرين؛ تهمة عظيمة عند الله.

"إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي" [طه: 94]

هنا سكت موسى -عليه السلام -عن هارون وتوجه بالقول إلى السامري المنافق:

" قال فما خطبك يا سامري" [طه: 95]

إذًا، قَبِل العذر..

إذًا، أحيانًا اجتهادات أهل الحق قد تختلف حتى لا يُنكر على أحد جزافًا.

فمثلًا، يُجتهد فيقال:

أن فلانًا ذو قدرة، ويرى سواه أنه ليس ذو قدرة.. فلان يرى أن الأولى كذا، وفلان يرى أن الأولى كذا..

ولكن في جميع الأحوال لا يكون من الخيارات المطروحة عند أهل الحق السكوت عن المنكر!

أو اتباع أهل الباطل..

أو مجالسة أهل الباطل والثناء عليهم..

أو الكف عن الدعوة إلى الله وترك الناس يتيهون في الأرض..

أبدًا، هذه ليست من الخيارات المباحة!

إذًا، **اختلاف أهل الحق قائمٌ وممكن**؛ فموسى -عليه السلام- كان يرجح اختيار، وهارون -عليه السلام- رجح اختيارًا مختلفًا، ولكن تظل هناك ضوابط وحدود لا يمكن تجاوزها.

لذلك موسى عليه السلام كما جاء في سورة الأعراف:

" قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك"[الأعراف: 151]

يا رب.. لو أني أخطأت بغيابي عن قومي، أو أخي هارون أخطأ لأنه لم يتبعني ويعتزل هؤلاء ولم يقاتلهم.. "رب اغفر لي ولأخي" هذه فتنة.

كما جاء عن موسى –عليه السلام– في قوله تعالى:

" إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء" [الأعراف: 155]

***

إذًا نخرج من هذا بخلاصة:

يقدر الله ظروفًا و أقدارًا؛

يغيب فيها أهل الحق ذوي القوة والحزم

مع انتشار الجهل في الناس

ووجود منافقين

مع ضعف عند أهل الدين وغياب قدرتهم ومنعتهم

هذه **المنظومة الرباعية** حينما تجتمع فهي فتنة لا يصبر فيها إلا القليل؛

أنت مطالب في هذه اللحظة **أن تتبع الوحي**..!

فالحي لا يؤمن عليه الفتنة.. قد يسقط الكثير من الناس في هذه الفتنة.

فارجع الى كتاب الله وانكب عليه تقرأه وتتدبره

وارجع إلى سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– وتمسك بها

وادع الى الله..

هناك محكمات في الدين، إذا كانت هذه متشابهات، فهناك محكمات..

الثبات على الحق من المحكمات..

الدعوة إلى الله من المحكمات..

تدبر القران من المحكمات..

عمل الخير للناس من المحكمات..

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المحكمات..

هذه المحكمات لا تتغير..! لا تغيرها الظروف..!

سواء وُجد عجل له خوار، أو لم يوجد؛ سواء جاءنا عجل من ذهب، أو لم يأتي.

التوحيد واحد: "وإن ربكم الرحمن" [طه : 90]

هذه محكمات لاتتغير بمتغيرات الظروف؛ لاتتغير بكثرة أهل الباطل.

"قل لايستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث" [المائدة: 100]

دائمًا الخبيث كثير، ودائمًا الناس تميل للغالب تميل للسائد.. "ولو أعجبك كثرة الخبيث"

***

"قال فما خطبك يا سامري " [طه: 95]

ما الذي دفعك لهذا؟!

ما الذي دفعك للسعي للسيادة ؟!

"قال بصرت بما لم يبصروا به" [طه: 96]

هذه هي الفتنة..!

أن تعتقد أنك أنت المدرك لأبعاد الموقف وغيرك غير مدرك!

تتصرف **كأنك أنت الوحيد المتبصر!**

فتبتعد عن إخوانك من أهل الحق، من إخوانك العاملين لدين الله؛ والأمر دائمًا شورى بينهم

قال الله –عز وجل–لنبيه –صلى الله عليه وسلم–: "وشاورهم في الأمر" [آل عمران : 159]

"قال بصرت بما لم يبصروا به".. **يرى لنفسه أفضلية!**

هكذا كان إبليس –عليه لعنة الله–: "قال أنا خير منه" [ص : 76] ،[الأعراف : 12]

يرى نفسه الأفضل.

"قال بصرت".. أنا الوحيد الذي يملك رؤية ثاقبة.

" بصرت بما لم يبصروابه فقبضت قبضة من أثر الرسول" [طه : 96]

السامري أخذ قبضة تراب من أثر فرس جبريل– عليه السلام– فطرحها على الذهب

"وكذلك سولت لي نفسي"

أي حدثتني أن انتهز الفرصة.. انتهز غياب موسى –عليه السلام–

يمكنك أن تترأسهم بهذا الفعل، وتنتفع من وراء ذلك نفعًا ماديًا كبيرًا

سولت للسامري نفسه أن يمَكِّنه صنيعه لهذا العجل من ترأس بني إسرائيل..

حب المنصب قد يجعل الإنسان يبدل في دين الله عز وجل!

"وكذلك سولت لي نفسي" [طه : 96]

فعل السامري هذه الفعلة حتى يكون له السؤدد على الناس

حتى يتبعه الناس،

حتى يلتف الناس حوله..

فكيف كان العقاب؟

الجزاء من جنس العمل:

"قال فاذهب فإن لك في الحياة ان تقول لا مساس" [طه: 97]

أن الناس تنفض من حولك، لا يَمسك ولا يلمسك أحد، ولا أنت تلمس أحد..

لا تسلم على أحد ولا أحد يسلم عليك، عوقب بجزاء من جنس عمله.

فعل ما فعله ليكون له السؤدد، حتى تجتمع عليه الناس

فكان العقاب بنقيض قصده!

"قالَ فَاذهَب فَإِنَّ لَكَ فِي الحَياةِ أَن تَقولَ لا مِساسَ وَإِنَّ لَكَ مَوعِدًا لَن تُخلَفَهُ وَانظُر إِلى إِلهِكَ الَّذي ظَلتَ عَلَيهِ عاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسفًا" [طه: 97]

إذا استطاع أهل الحق التغيير باليد كان واجبًا عليهم ذلك.

"لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا" [طه: 97]

إذًا هارون –عليه السلام–هو نبي من الأنبياء من الصالحين لا كما يدعي اليهود، لا كما يكتبون في توراتهم أنه هو الذي صنع العجل –حاشاه صلى الله عليه وسلم .

لكن هارون –عليه السلام– لم يكن لديه القدرة على التغيير باليد، لم يكن لديه المنعة

فانتقل عن الإنكار باليد إلى الانكار باللسان..

وإذا لم يستطع الانسان الإنكار باللسان،

فالإنكار بالقلب..

وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– .**[5]

أما إذا استطاع أهل الحق، فالإنكار باليد:

"قال لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا" [طه : 97]

"إِنَّما إِلهُكُمُ اللَّهُ الَّذي لا إِلهَ إِلّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلما" [طه : 98]

هذه هي المحكمات التي لاتتغير.

إذًا –أحبتي في الله– أكرر:

يقدر الله –عز وجل– ظروفًا لابتلاء الناس..

فكما يقدر الله –عز وجل– ظروف الغنى والفقر لابتلاء الناس؛ فيجعل الله –عز وجل– هذا غني وهذا

فقير؛ قد يمكن الله –عز وجل– أحيانا للظلمة ابتلاءً للمظلومين..

هل سيصبروا؟

"ولو يشاء الله لانتصر منهم" ..

فلماذا يتركهم؟

"ولكن ليبلو بعضكم ببعض.." [محمد : 4]

إذًا – أحبتي في الله – ليس لك عذر أمام الله عز وجل لا بد أن تتمسك بالوحي..

"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" [الحجر : 9]

[عن [أبو سعيد الخدري]:] من رأى منكم منكرًا فليغيرْه بيدِه، فإن لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطعْ فبقلبِه، وليس وراءَ ذلك من الإيمانِ مثقالُ ذرةٍ - ابن تيمية (٧٢٨ هـ)، مجموع الفتاوى ١١٠/٢ •صحيح •شرح رواية أخرى

هذا الذكر الذي لا يبدل ولا يغير..

أنزله الله عز وجل وحفظه من التبديل؛

ليس لك عذر أن تترك القرآن أو أن تترك سنة النبي –صلى الله عليه وسلم

ليس لك عذر ألا تتبع آثار الصالحين

لابد أن تبحث وحتما ستصل..

لكن إياك ثم إياك ثم إياك **أن تتبع سبيل المفسدين**، هذا ليس من خيارات الصالحين.!

أسأل الله ان ينجينا جميعا من الفتن.

اللهم نجنا من الفتن ماظهر منها ومابطن

اللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن

اللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن

اللهم استعملنا لنصرة دينك

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا

اللهم اجعل مصر بلدًا آمنًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين

اللهم اجمع قلوبنا على أتقى قلب رجل منا

اللهم اجمع شملنا يا رب العالمين

اللهم اجمع شملنا وانزع الفتنة من بيننا يا رب العالمين

اللهم وحد صفنا على أتقى قلب رجل منا يا رب العالمين

اللهم قيّض لهذا البلد أمر رشد؛ يعز فيه أهل طاعتك، ويهدى فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.